ارشاد لطيف

لزائر

القدس الشريف

(بقلم موسى افندي مينا صراف بمديرية البحيرة)

عُفي عنه

(طبع بالمطبعة المتوسطة بمصر سنة ١٩٠٢)

obeikandl.com

توطئة

أشار عليَّ بعض الاصدقاء بتدوين تفاصيل رحلتي الى القدس الشريف لتكون مرشداً لمن يقصد زيارة الاراضي المقدَّسة فامتثلتُ اشارتهم وجمعتُ في هذه الرسالة أهمَّ ما مرَّ بي في رحلتي هذه وقد أضفتُ اليها بعض الرسوم زيادة في الفائدة والله المستعان

« موسى مينا »

اليوم الاول

(الاثنين فى ٣١ مارس سنة ١٩٠٢)

برحتُ دمنهور عند منتصف الساعة الواحدة من مساء هذا اليوم شاخصاً الى الاسكندرية وقصدت توًّا وكالة البواخر النمساوية للاستعلام عن ميعاد سفر أول باخرة الى سوريا فعلمت ان الباخرة كليوبترا تزايل ثغر الاسكندرية في مساء اليوم التالي فوطدت النفس على السفر عليها وقضيت بقية يومي بالنزهة وزيارة الاصدقاء والاستعداد للسفر

اليوم الثاني

(الثلاثاء في اول ابريل)

بتُ هذا الصباح الى قومبانية اللويد النمساوية فابتعت تذاكر السفر ولما قصدت الاسكلة في المساء علمت ان قد تأجل سفر الباخرة الى اليوم التالي بداعي اضطراب البحر واشتداد الانواء

اليوم الثالث

(الاربعاء في ٢ ابريل)

بكرت في الصباح الى الميناء فعلمت ان الباخرة تزايل الثغر عند الساعة التاسعة من الصباح وبالنظر لتفشّي الطاعون في بعض انحاء القطر المصري وفرض الحكومة العثمانية الحجر الصحي مدة ٤٨ ساعة على القادمين منه الى اساكلها سرنا الى قلم الصحة والمحاجر البحرية لتوقيع الكشف الطبي علينا وطريقة هذا الكشف هو ان يجسّ الطبيب تحت الابط وبين الافخاذ ليتأكد من عدم تهريب المسافر دبيلات الطاعون تحت ابطه او بين افخاذه وقامت بتفتيش النساء المسافرات معنا حكيمة معينة لهذه الغاية على المثال المتقدم. ولما انتهينا سرنا الى الاسكلة ونظرًا لابتعاد الباخرة عن الرصيف استأجرنا قاربًا نقلنا اليها وكانت الانواء شديدة فتربصت الباخرة في الميناء الى الساعة السادسة من المساء حيث مخرت عباب اليمّ والرياح الهوجاء يهبُّ بعنف فتلعب بالباخرة لعبًا. ترفعها الامواج تارةً الى علوّ شاهق حتى نكاد نتناول الثريا بيمينا وتهبط بنا طورًا الى العمق حتى نتصوّر ان ابواب اللجة فاغرة فمها لابتلاعنا.

وقد ذقنا الأمرّين في هذه السفرة ولا سيما الذين لم يتعوّدوا منّا ركوب البحار وسطا علينا دوار البحر لشدة نودان الباخرة فزاد ذلك في الطين بلة وفي الطنبور نغمة. وما زلنا على أشدّ حالة من العناء الى نحو الساعة التاسعة ونصف من المساء حيث ركدت الرياح وهدأ هيجان البحر نوعاً فتمكنّا من الرقاد ملياً

اليوم الرابع

(الخميس في ٣ ابريل)

انتبهت من الرقاد عند الفجر فالفيت الطبيعة ساكنة والبحر رائقاً صافياً كمرآة الحسناء فوقفت على مقدم السفينة امتع النظر بمحاسن الطبيعة واستقبل ريح الصبا المنعش العليل وانا اعجب بقدرة الخالق المبدع. فانساني جمال منظر البحر والقبة الزرقاء فوقه اهوال الليلة البارحة. وظلت السفينة ماخرة بنا باسم الله مجراها الى ان رست بنا نحو الساعة السابعة من المساء في ميناء بيروت زهرة سوريا ودرتها الثمينة وهناك علمنا بملء المسرة ان قد ألغي الحجر الصحي واستُعيض عنه بزيارة طبية. وظل الركاب في السفينة الى صباح اليوم التالي

اليوم الخامس

(الجمعة فى ٤ ابريل)

ما تبلج نور الصباح حتى اخذ النوتية بانزال قوارب السفينة لنقل ركاب الدرجة الثالثة الى المحجر الصحي حيث أُجري عليهم الكشف الطبي وتبخير ملابسهم ثم عادوا الى السفينة اما ركاب الدرجة الاولى والثانية فقد زارهم احد اطباء المحجر في السفينة . وظلت السفينة فى ميناء بيروت الى الساعة السابعة من المساء ريثما اتمت شحن وتفريغ البضائع ثم مخرت بنا قاصدة يافا وقد شاقني منظر بيروت من البحر واعجبني جمال دورها الانيقة ومنازلها الفخيمة والرمال المكتنفة بها وجبل لبنان المنتصب امامها وقد بيَّض الشتاء ناصيته وكسى الشيب لمته ثوب الوقار ولكني لسوء الحظ لم اتمكن من النزول اليها وتفقدها لاشتداد الدوار عليَّ ورسو السفينة بعيداً عن الرصيف وبودي لو يتاح لي زيارتها يوماً لكثرة ما يبلغني عن جمالها ولطف اهليها ورقتهم واحتفاءهم بالغريب واكرامهم مثواه.

اليوم السادس

(السبت في ٥ ابريل)

اصبحنا اليوم واسوار يافا ومنازلها تلوح لنا عن بعد فظللنا شاخصين اليها الى الساعة السابعة ونصف من الصباح حيث القت بها الباخرة مرساها . وما لبث ان جاءنا احد النوتية مرسلاً من بطركخانة الاقباط في يافا لنقل الحجاج الاقباط فاستودعنا الله السفينة الى حين اللقاء القريب بعد ان شكرنا لطف الربان ومهارته وعنايته بامر الحجاج منا خاصة وانتقلنا الى قارب صاحبنا عيذار (وهو اسم النوتي المشار اليه) فنقلنا مع امتعتنا الى البر بسلام ولم يحدث لنا ما يكدر. وبوصولنا دخلنا الى قلم الباسبورتات في الجمرك حيث تركنا جوازات السفر وشخصنا الى كنيسة الاقباط المعروفة بكنيسة « البياره » وهي في بقعة طيبة من الارض يحيط بها حديقة غناء حوت اصناف الاشجار والاثمار والزهور والرياحين التي تعطر الارجاء بطيب شذاها . وفي الحديقة بيوت معدة لنزول الحجاج الاقباط وهناك ايضاً قصر جميل بديع الهندسة حسن الرواء اسسه الطيب الذكر الانبا باسيليوس مطران القدس السابق. وللدير

من حدائقه وبساتينه ايراد سنوي لا يقل عن ٨٠٠ ليرة فرنساوية كما علمت . اما مدينة يافا فهي بالاجمال جميلة المنظر طيبة الهواء ومنازلها قائمة فى وسط حدائق غناء وجنائن فيحاء يعطر اريجها الارجاء وكيفما جال المرء يستنشق عبير روائح الزهور الذكية وكان بودي لو استطعت البقاء فيها اسبوعاً على الاقل ولكني مضطر لمبارحتها فى الغد مع رفاقي الحجاج القائمين الى القدس الشريف

اليوم السابع

(الاحد في ٦ ابريل)

سرنا هذا الصباح الى البيعة الكائنة فى البياره لسماع القداس ثم ودعنا يافا وقصدنا المحطة للسفر الى القدس الشريف فابتعنا تذاكر السفر وثمن التذكرة خمسة وعشرون غرشاً عملة يافا وهي توازي عشرون غرشاً صاغاً مصرياً وعند الساعة الثانية من المساء سار بنا القطار يطوي السهول والبطاح ويخترق الجبال والوهاد وقد مررنا على رمال قاحلة وسهول منبسطة كستها الطبيعة ثوباً سندسياً قشيباً يرتاح اليه النظر وكروم

متهدلة تتدلى منها عناقيد العنب. ووقف بنا القطار فى اثناء الطريق هنيهة على محطات اللد والرمله وسجد وديربان وبيتر ولما تجاوزنا ديربان اخذ القطار يخترق بنا الجبال الشماء الشاهقة العلو وهو يتلوى ويتعرج فى سيره يمنة ويساراً ويصعد بنا تارةً ويهبط اخرى والجبال تكتنفنا من الجانبين ونحن في دهشة واستغراب لاننا لم نألف منظر الجبال في القطر المصري. وعند الساعة الخامسة والدقيقة ٤٠ من المساء بلغنا محطة القدس الشريف فترجلنا وهنأنا بعضنا بعضاً وسلمنا فى المحطة جوازات السفر لاطلاع الحكومة عليها على العادة المتبعة هناك ثم قصدنا دير السلطان وهو على مسيرة نصف ساعة من المحطة فبلغنا الدير وقد خيم الغسق فلزمناه ليلنا طلباً للراحة من مشاق السفر

اليوم الثامن

(الاثنين في ٧ ابريل)

وافق اليوم عيد البشارة عندنا معشر الاقباط الارثوذكس فقصدنا فى الصباح كنيسة ماري انطونيوس لسماع القداس

ثم خرجنا نرود اكناف المدينة المقدسة ونتفقد آثارها ومعالمها فقادنا يسقجي الدير الى جامع الخليل او المسجد الاقصى وهو من اشهر جوامع الدنيا ان لم نقل اشهرها كلها واول ما تبدى لنظرنا سهل منبسط يمتد على مدى البصر وتبلغ مساحته نحو ٢٠ فدان وفى وسطه قبتان احداهما كبيرة وهي فى الجهة الغربية والاخرى صغيرة فى الجهة الشرقية. والقبة الكبرى قائمة على الحجر المعلق وهو من الصوان الاملس فنزلنا تحت الحجر ووجنا الجامع ومدخله من الجهة البحرية وهو بجملته مفروش بالطنافس النفيسة والسجاجيد العجمية الغالية الثمن . والجامع معقود على أعمدة من المرمر على احسن ما يكون من الزخرفة والاتقان وفى أعلا كل عمود اسم احد الصحابة {انظر الشكل الاول}

والجامع طويل فسيح يسع الالوف من المصلين وبعد ان وقفنا ساعة ونحن نمعن فى الصُوَر المرسومة على البسط ونقرأ أسماء الصحابة والآيات الكريمة المرسومة على جدران الجامع وفوق الاعمدة اتجهنا الى الجهة الشرقية من الجامع فاذا امامنا نفق تحت الارض ينزل اليه بعشرة سلالم فنزلنا اليه فاذا نحن فى بهو فسيح معقود جميعه على أعمدة جميلة من المرمر .

وقيل لنا ان هذه الساحة كانت فى الاصل مربط خيول سليمان الحكيم عليه السلام . وقد قضينا فى زيارة الجامع وتفقد اركانه ومشاهدة بديع زخارفه سحابة نهارنا وعدنا الى الدير عند الزوال ونحن نعجب بما شهدنا وما رأينا

اليوم التاسع

(الثلاثاء فى ٨ ابريل)

خصصنا هذا النهار لزيارة كنيسة القيامة اشهر كنائس المسيحيين طرًّا فقضينا نهارنا كله فى تفقد جوانبها والتبرك بآثارها المقدسة ونحن نود لو يطول نهارنا فنزيد فى الوقوف على هاتيك المعالم والآثار . ولقد وقفنا الساعات الطوال ونحن نتأمل بما يقع تحت نظرنا ونتمثل آلام فادينا الحبيب ساعة الصلب وما احتمله من العذابات حبًّا بفداء الجنس البشري ولا نشبع من النظر وهاك توضيح خريطتها (انظر الشكل ٢)

يُدخل الى الكنيسة من المكان المرموز اليه برقم ١ وعلى يمين الداخل (رقم ٢ و٣) سلالم تؤدي الى جبل الجلجلة حيث صُلب السيد المسيح له المجد يُصعَد اليه بتسعة عشر درجة وفيه

صورة يسوع وهو على الصليب وعن يمينه تمثال مريم المجدلية وعن يساره تمثال مريم ام يعقوب وكلا التمثالين من النحاس الاصفر البديع الصنع وينار المحل بمصابيح ذهبية عديدة

(٤) هيكل وفيه العمود الذي وقف عليه اليهود لوضع اكليل الشوك على هامة المصلوب الكريم

(٥) مغارة الصليب حيث وجد الصليب الكريم ينزل اليها بسلم يتألف من ٤١ درجة وينير داخل المغارة مصابيح بديعة الصنع

(٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠) هياكل فى كل منها مذبح فخيم

(١١) كنيسة الروم الكاثوليك وعلى يمين المذبح منها صندوق فيه العمود الذي جُلد عليه السيد المسيح وفي الكنيسة الشيء الكثير من الثريات الثمينة والصور البديعة الصنع

(١٢) كنيسة الارمن

(١٣) كنيسة السريان وفيها قبران احدهما قبر يوسف الرامي الذي انزل جسد المسيح عن الصليب

(١٤) مصلى تابع لكنيسة الاقباط

(١٥) مصلى تابع لكنيسة الروم الارثوذكس

(١٦) المكان الذي وقفت فيه مريم المجدلية ومريم أمّ يعقوب ساعة الصلب

(١٧) جرن المعمودية وهو من البلاط المرمر وعليه ثمانية مصابيح جميلة لكل طائفة مصباح وحول الجرن ثمانية شمعدانات من النحاس الاصفر منها ٤ كبيرة و٤ أصغر قليلاً

(١٨) حجرٌ قائم على اكرة يقال لها « نصف الدنيا »

(١٩) كنيسة الروم الارثوذكس وهي اجمل الكنائس هناك واكثرها رونقاً وبهاء وفيها كثير من الثريّات من الذهب الابريز

(٢٠ و٢١) مدخل القبر وفي وسطه الحجر الذي دحرجه الملاك عن باب القبر

(٢٢) محل وقوف زوّار القبر المقدّس

(٢٣) القبر المقدّس وفى سقفه نحو ٥٠ مصباحاً من الذهب الوهّاج

(٢٤) كنيسة الاقباط الارثوذكس

اليوم العاشر

(الاربعاء في ٩ ابريل)

عزمت اليوم على زيارة الاماكن الخارجة عن القدس فسرت فى جماعة من الرفاق الى كنيسة الجثمانية وهي واقعة شرقي المدينة على مسيرة بضعة دقائق منها وهي فخيمة البناء غنية بالصور والمصابيح والزخارف الاخرى شأن جميع كنائس القدس ولكنها واقعة تحت الارض ينزل اليها بسلالم طويلة تبلغ ٤٨ درجة . وفى وسط السلالم على يمين الداخل قبر ي يواكيم وحنة والدي العذراء عليها السلام وعلى اليسار قبر يوسف النار . وفناء الكنيسة مشترك بين الروم والارمن يقدسون فيه بالتناوب وفى وسط الساحة بئر يقال له بئر العذراء ماؤه عذب نمير وفى الجهة الشرقية منها قبر والدة الاله وفى أعلاه صورة كبيرة جميلة الصنع تمثل العذراء ساعة انتقالها والملائكة يحيطون بها وعلى مسافة من القبر كنيسة للسريان وتجاهها كنيسة للروم الكاثوليك وجميع هذه الكنائس ومشتملاتها على ما قدمنا من الفخامة وحسن الرواء ولا سيما ساحة كنيسة الجثمانية التي يعجز القلم عن وصفها (انظر للشكل ٣)

وبعد استماع صلوة القداس خرجنا من الكنيسة فاستقبلنا شارع وفي آخره كنيسة للكاثوليك أيضاً ينزل اليها بعشرة درجات وعلى جدار الكنيسة صورة كبيرة تمثل السيد المسيح وهو يصلي فى بستان الزيتون قبل القاء القبض عليه وقد أقيمت هذه الكنيسة حيث كان التلاميذ نائمين ساعة مسكه اليهود

ثم تركنا هذه الكنيسة وخرجنا نقصد جبل الصعود وهو شامخ الذرى صعب المرتقى فمررنا على بستان الزيتون حيث كان يصلي المسيح حين داهمه الظلمة فوجدناه لسوء الحظ مقفلاً فما استطعنا زيارته. وألى الجهة الشرقية من البستان كنيسة روسية تنسب الى مريم المجدلية فتركنا زيارة هذه الكنيسة الى فرصة أخرى حيث نزور الكنيسة والبستان معاً وواصلنا تسلق الجبل نحو نصف ساعة فبلغنا مكاناً تفرعت فيه الطريق فاحدى الطريقين تؤدي الى جبل الصعود والثانية تؤدي الى جبل الزيتون فاخترنا الثانية وهي على يسارنا وقصدنا جبل الزيتون وجميع أرضه صخرية يتخللها شيء يسير من التراب وهناك أشجار الزيتون بكثرة وهي ضخمة

هائلة وعلى مسافة منه كنيسة باسم العذراء مريم فيها مذبح جميل فوقه صورة المسيح وهو صاعد الى السماء وعلى يمين المذبح صورة كبيرة ممتدة من السقف الى الارض تمثل السيد له المجد واليهود محيطين به يهمون بطرحه على الصليب الموضوع أمامهم وتسمير جسده الكريم عليه والكنيسة جميلة الهندام وغربي بستان الزيتون بئر فيه ماء عذب طعمه أحلى من الشهد وعمق البئر نحو عشرة أمتار ولقد حار فكري في وجود هذه البئر في مثل هذا الجبل الشاهق العلو الذي لا يقل ارتفاعه عن ٥٠٠ متر عن سطح الارض التي صعدنا منها فتبارك الله جلت قدرته

وشرقي البئر ساحة أقيم فيها مذبحاً تجاهه كنيسة حديثة البناء لم تكرس بعد ولذلك كان بابها موصداً . ثم اتجهنا الى جبل الصعود فأشرفنا على جنة غناء في وسطها قبة تجاهها اربعة مذابح تقام عليها الصلاة يوم عيد الصعود. ووجدنا داخل القبة حجر قيل لنا ان المسيح ارتقى عليه في صعوده الى السماء . ثم خرجنا من هناك واتجهنا غربا فوجدنا باحة كبيرة في صدرها كنيسة وعلى يمينها باب صغير ولجناه ونزلنا سلماً عدد درجاته ثمانية

عشر درجة فبلغنا الساحة التي كان يجلس فيها يسوع يعلّم تلاميذه ثم زرنا هناك كنيسةً يقال لها كنيسة « ابانا الذي في السموات » يُرتقى اليها بستة درجات وهي في وسط حديقةٍ غناء يحيط بها سورٌ من الرخام الابيض الناصع محفورٌ عليهِ الصلوة الربانية باكثر اللغات المعروفة بحرف ازرق جميل فهي محفورةٌ على دائر السور باللغات العربية والتركية واليونانية والقبطية والعبرانية واللاتينية والسريانية والروسية والفرنساوية الى ما سوى ذلك من اللغات التي يبلغ عددها ٣٢ لغة حتى كأن السور بما عليه من الكتابات المختلفة معجم لغات المسكونة كلها. وفي وسط السور غرفة فيها قبر من البلاط المرمر وفوقه تمثالٌ من الرخام يمثّلُ مؤسسة هذه الكنيسة وتدعى السيدة اميره. وفي الكنيسة الشيء الكثير من الصور الجميلة الصنع من صنع حذّاق المصوّرين ومصابيح ذهبية عديدة . وقد قضينا في زيارتنا هذه جلّ نهارنا وعدنا في المساء الى الدير مكان نزولنا وقد بلغ منا الجهد والكلال مبلغاً فلزمنا مضاجعنا طلباً للراحة

اليوم الحادي عشر

(الخميس في ١٠ ابريل)

عوّلنا فى هذا النهار على الشخوص الى مدينة بيت لحم فسرت اليها في الصباح ومعي احد عشر شخصاً من الرفاق وقد اثرنا المسير اليها مشاةً لنتمكن من تفقد الاماكن التي فى طريقنا وبعد مسير ساعة وبعض الساعة اشرفنا على كنيسة ماري الياس (ايليا النبي) الذي صعد الى السماء على مركبة نارية كما ورد فى الكتب المقدسة . وقد وجدنا في الكنيسة ثلاثة هياكل فخيمة وصورة كبيرة تمثّلُ ماري الياس وهو صاعد الى السماء على المركبة النارية وتلميذه اليشع يحمل ردائه وهو واقفاً يتطلع اليه مندهشاً . وصورة اخرى كبيرة تمثّلُ السيّد المسيح مضطجعاً فى القبر وقد بالغ صانعها الحاذق فى دقة صنعها وتجسيمها حتى تكاد لاوّل وهلة تحسبها جثة بشرية حقيقية لا صورة مجازية . وهناك ايضاً صوَر بعض القديسين وكلها بديعة الصنع والتمثيل

ثم برحنا الكنيسة بعد ان سطر احد الشمامسة اسماءنا في سجلٍ خاص مُعدّ لكتابة اسماء الزوّار وواصلنا السير

فاشرفنا بعد قليل على قبة داخلها قبر راحيل ام يوسف الصديق (راجع سفر التكوين ص ٣٥ ع ١٩) وهو فى حوزة اليهود الى اليوم وبعد ان تفقدناه ملياً تابعنا طريقنا الى ان بلغنا مدينة بيت لحم بعد ان انهكنا التعب فوجدناها مدينة جميلة المنظر جيدة التربة طيبة الهواء وطرقها الجديدة على احسن ما يكون من التنسيق والانتظام وفيها سوق كبير تباع فيه المأكولات والمشروبات والملابس والمفروشات الى غير ذلك وهناك ايضاً حوانيت عديدة مخصوصة لصنع السبحات والايقونات والصلبان وغير ذلك ولهم براعة غريبة فى صنعها ويقبل الزوّار على ابتياعها بارتياح وانبساط ويحملونها معهم هدايا لصحبهم وذويهم ويحار الفكر فى دقة صنعها . شاهدنا سيحةً فى طرفها صليب من العاج وفي رأسه نتوّ يشبه المسمار تطلعنا منه بعد ان اغمضنا عيناً فشاهدنا رسم قبر المسيح بادياً باحسن وضوح . وشاهدنا فى صليب آخر مزود البقر حيث وُلد السيد المسيح ورأينا في ثالث كنيسة القيامة بمذابحها واعمدتها ومصابيحها وصورها وكل ذلك واضح اتمّ وضوح

وكنيسة بيت لحم واقعة في الطرف الشرقي من المدينة

وهي صغيرة نوعاً ينزل اليها بسلم يتألف من تسع درجات وعلى يمين مدخله المكان الذي وُلد فيه السيد المسيح وفوقه صورة بديعة وامامها مصابيح من الذهب الوهاج. وعلى شمال الداخل المزود الذي وُضع فيه يسوع بعد ميلاده ينزل اليه بثلاث درجات والى الشرق منه طريق عُلّقت على جانبَيهِ صُوَرٌ جميلة امام كل صورة منها مصباح ذهبي (انظر الشكل ٤)

وشاهدنا هناك جندياً عثمانياً يحرس المكان دفعاً للمنازعات والمشاحنات التي طالما تكررت بين الروم الارثوذكس واللاتين وآخرها الحادثة التي حدثت موخراً ورنّ صداها فى الخافقين بسبب كنس مسطبة الكنيسة مما هو فى علم الجميع. وبعد ان قضينا غرضنا من الزيارة والتبرُّك بالآثار المقدسة ارتقينا سلماً يتألف من ١٥ درجة فوجدنا امامنا عدة كنائس قائمة على اليمين واليسار لجميع الطوائف المسيحية

وهنا يعجز القلم عن وصف جمال هذه الكنائس وما اشتملت عليه من النقوش والزخارف فنجتزئُ على وصف كنيسة الروم الكاثوليك ولعلها اجملها كلها وهي كبيرة جداً وفي صدرها ثلاثة هياكل فخيمة وعلى الجدار عدة صُوَر كبيرة تمثّلُ حياة

يسوع منذ ولادته الى ساعة موته وقيامته وصعوده الى السماء وبينها صورة كبيرة تمثّلُ القديس انطونيوس رئيس الرهبنة المنسوبة اليه. ثم نزلنا الى المكان الذى قتل فيه الملك هيردوس ١٤٤٠٠٠ طفل حين ولادة يسوع فوجدناه مُقفلاً لا يُفتح الاّ مرة واحدة في السنة وفوقه مذبح عليه صورة كبيرة تمثّل هيئة تلك المذبحة الهائلة البربرية. وهناك ايضاً جملة مذابح امامها صور بعض القديسين وكلها آية فى الاتقان وحسن الصنع وبخروجنا اخذ احد الشماسة اسماءنا فى سجلّ مُعدّ لهذه الغاية ثم مررنا على الطريق التي قدمت عليها العذراء فى هربها من مصر فوجدنا هناك كنيسةً داخل حديقة غناء تنبعث منها الروائح الذكية وفى وسطها صهريج فيه ماء عذب وعلى باب الكنيسة صورة العذراء عليها السلام فولجنا باب الكنيسة فوجدنا سلماً يتألف من ١٨ درجة نزلناه فوجدنا أمامنا مذبحاً جميل الصنع للغاية وعلى يمينه كنيسة فيها صُوَر جميلة جداً تمثّلُ يسوع المسيح فى جميع اطوار حياته الى حين صعوده الى السماء. وهناك ايضاً مذبح جميل جداً امامه شمعدانان كبيران من الفضة الخالصة لا يقل ثمن الواحد منهما فيما نظن عن الالف

جنيه. ثم برحنا هذه الاماكن وجلنا قليلاً في اسواق المدينة حيث ابتعنا بعض اشياء منها وقفلنا راجعين الى اورشليم وقد انهكنا التعب جداً وندمنا كثيراً لحضورنا مشاة ولعناً في سرّنا الذين اوهمونا ان المسافة بين اورشليم وبيت لحم قريبة

اليوم الثاني عشر

(الجمعة في ١١ ابريل)

لم نستطع السفر في هذا النهار اثر ما لقينا من متاعب الامس فتربصنا في اورشليم طول النهار وعند المساء امطرتنا السماء رذاذاً

اليوم الثالث عشر

(السبت في ١٢ ابريل)

لم تنقطع الامطار طول هذا النهار فلزمنا الدير اتقاء شرّها

اليوم الرابع عشر

(الاحد في ١٣ ابريل)

قصدنا هذا الصباح كنيسة الاقباط بالقيامة لسماع القداس

والامطار ما زالت متواصلة لكنها اخفّ من الامس فاثرنا ملازمة الدير هذا اليوم ايضاً

اليوم الخامس عشر

(الاثنين في ١٤ ابريل)

غلب علينا الكسل اليوم فلزمنا الدير مع ان الامطار انقطعت تماماً. وفى المساء قدم قطار خصوصي يقلّ ٢٢٥ شخصاً من الحجاج الكاثوليك من رعايا دولة أسبانيا قادمين لزيارة القدس الشريف وقد جرى لهم استقبال حافل فزاروا كنيسة القيامة والكنائس الاخرى ثم قفلوا راجعين من حيث اتوا

اليوم السادس عشر

(الثلاثاء في ١٥ ابريل)

بكرنا هذا الصباح لسماع القداس الالهي فى أحدى الكنائس ثم زرنا بقية الكنائس هناك منها الكنيسة الروسية فى الجهة الغربية من المدينة وهي فى وسط بقعة متسعة من الارض وفي أعلاها الجرس وهو عبارة عن اثنى عشر جرساً صغيراً وجرس كبير في الوسط. وامام مدخل الكنيسة فناء

مستطيل على يمينه صورة كبيرة تمثّلُ السيد المسيح له المجد منتصباً وعيناهُ مرفوعتان الى السماء وعلى اليسار صورة يسوع بين تلاميذهِ . وفي الكنيسة ما لا يستطيع القلم وصفه من الصور والزخارف فى وسطها ثريّاً كبرة من الذهب الابريز يبلغ اتساعها عشرة امتار طولا فى مثلها عرضاً . وفى الكنيسة ثلاثة هياكل خيمة مرتفعة يصعد اليها المصلين بسلالم داخلها وقد وصلنا اليها في اثناء تقديم الذبيحة الالهية فوجدناها غاصةً بالمصلين والزحام فيها شديداً وقيل انه يزورها في كل عام لا اقلّ من ٣٠ الف من الحجاج من سائر اقطار الدنيا اما في هذه السنة فلم يزد عدد الزوّار عن الخمسة عشر الف نفس وفي ساحة الكنيسة حوض متسع فيه عمود من الحجر الصلد يبلغ ارتفاعه اربعة أمتار لم اتوصل لمعرفة تاريخه وسبب نصبه هناك

ويحري الكنيسة دار القنصلية الروسية وعلى مسافة منها قنصلية انكلترا والى يمينها الكنيسة الحبشية وهي مؤلفة من قبة واحدة مرتكزة على ثمانية عشر عمودًا ولها ثلاثة ابواب والهيكل في وسطها وفيه المذبح . وللهيكل ثلاثة ابواب شرقاً وغرباً وجنوباً وفى كل ركن من اركان الهيكل صورة

كبيرة تمثّلُ احد الرسل الاربعة ودايرِ القبة وفي اعلى كل عمود صورة أحد الشهداء او القديسين . والكنيسة بالاجمال جميلة للغاية وعلى المذبح صورة تكلا هيمانوت الحبشي وصورة القديس جرجس وصورة جبريوت البار واقفاً يصلي وابليس متقمصٌ في جسم حمامة سوداء يحوم حواليهِ ويحاول نقر عينهِ وهو غير مكترثٍ بهِ ولم يشغلهُ الخطر المحيق به عن اتمام فروض عبادته ويقال ان منشأ هذا البار في مدينة «البهنسا» من اعمال القطر المصري. وفي جانب من الكنيسة سلمٌ ملتفٌّ يتألف من ٢٨ درجة يُصعَد عليه الى سطح القبة . وقد جاءنا احد الشمامسة بريال من نقود الحبشة وعليه صورة جلالة الامبراطور منليك

ولما انتهينا من تفقد كلما مرّ بنا عدنا الى الدير حيث تناولنا طعام الغداء وخرجنا نحو الساعة الثالثة من المساء نقصد جبل صهيون وهو ملاصق للمدينة من الجهة القبلية فمررنا في طريقنا على كنيسة القديس يعقوب المقطع ولها ثلاثة مداخل وهي عبارة عن ثلاث كنائس متلاصقة في كل كنيسة منها ثلاثة مذابح وفيها صوَر كبيرة جميلة بعضها على القماش وبعضها على

الورق المقوى ثم اشرفنا على كنيسة اخرى تدعى دير الزيتون وهي جميلة جداً وفي ساحة الكنيسة بئر ماؤها عذب نمير وبعد ان تفقدناها ملياً أشرفنا على كنيسة ثالثة تنسب للقديس يعقوب ايضاً فزرناها واتجهنا نحو الجبل فقطعنا سور المدينة من باب يُعرف بباب جبل صهيون فاقبلنا على كنيسة تخص الطائفة الارمنية وفي جوارها مدافن المسيحيين وفى ساحة الكنيسة مدافن للمطارنة والاساقفة وكلها من البلاط المرمر جميلة النقش والزخرفة وفي صدر الشارع القائمة فيه الكنيسة قبر جميل عليه تمثال بديع قيل لنا انه ضريح وتمثال رجل مصري يدعى باغوص قدم للاراضي المقدسة وتوفي هناك وعلى يمين التمثال ويساره تمثالان آخران لولده وابنته وهما يتطلعان اليه وعليهما سيماء الحزن الشديد ولم يتسنى لي معرفة حقيقة امر هولاء وقصة موتهم

وفى مدخل الكنيسة مذبح من الرخام فى صدره صورة كبيرة ملونة تمثل يسوع مقيداً واليهود يستاقونه الى السجن وجدران الكنيسة كلها من الخزف الصيني وعلى يمين المذبح المحل الذي سُجن فيهِ المسيح قبيل صلبه وفي هذه

الكنيسة كما في امثالها من كنائس القدس الشيء الكثير من الصور والايقونات والمصابيح الثمينة. وبعد قضاء غرضنا من الزيارة خرجنا ويممنا الدير حيث كانت الشمس قد اذنت بالمغيب

اليوم السابع عشر

(الاربعاء في ١٦ ابريل)

قصدنا هذا الصباح كنيسة الجثمانية لسماع القداس فقابلنا راهب سرياني يدعى الاب ابراهيم وهو تقي ورع بشوش الوجه طلق المحيا فرغبنا اليه ان يسير بنا لزيارة بستان الزيتون حيث القى اليهود فيه القبض على يسوع ولم يتسنى لنا في الاسبوع الماضي زيارته اذ كان مقفلاً فاجاب الاب ابراهيم طلبنا واتجهنا نحوه فوجدنا بابه واقعاً في الجهة الشرقية واشجار الزيتون ملتفة في وسطه وحوله طريق مرصوفة تحيط بالبستان من كل جانب ووجدنا على يميننا تمثالاً من الرخام يمثّل يسوع راكعاً يصلي قبيل القاء القبض عليه وبجوار هذا التمثال هيكل وجدنا بابه مقفلاً اذ ذاك وعلى الجدار البحري الصور التالية :

اولاً : صورة يسوع محكوماً عليه بالموت وهو مكتوف اليدين وكاتب المجلس يقرأ عليه الحكم وبيلاطس يغسل يديه

ثانياً : يسوع حاملاً صليبه على منكبيه يحيط به جنديان وامامه قائداً رومانياً ممتطياً صهوة جواده وفي يده بوق يبوق فيه

ثالثاً : يسوع واقعاً تحت الصليب للمرة الاولى ووراءه ثلاثة من الجنود يوخزونه باطراف الرماح

رابعاً : يسوع ملتقياً بامه الحزينة والقديسة فيرونيكا

وعلى الجدار الغربي :

اولاً : صورة يسوع واقعاً تحت الصليب للمرة الثانية وسمعان القيرواني يرفعه ويعاونه في حمل صليبه ويحيط بهما أربعة من الجنود

ثانياً : يسوع سائراً بصليبه والقديسة فرونيكا تمسح العرق المتصبب على وجهه بمنديلها وقد انطبعت صورته على المنديل

ثالثاً : يسوع واقعاً تحت الصليب للمرة الثالثة وجندي يضربه بالسوط

رابعاً : يسوع حاملاً صليبه والجنود تحيط به

خامساً : يسوع واقعاً تحت الصليب للمرة الرابعة وجندي يهمّ بضربه ووراءه جندي آخر

سادساً : يسوع لما عُري من ثيابه وأسقي خلاًّ ومرًّا والصليب أمامه وأربعة جنود تهمّ بتسميره عليه

وعلى الجدار القبلي :

اولاً : يسوع ملقياً على الارض والجنود يسمرونه على الصليب

ثانياً : يسوع مسمراً على الصليب وامه الحزينة جاثية امامه تبكي وتغسل قدميه بدموعها وحولها عذارى اورشليم

ثالثاً : يسوع منزلاً عن الصليب وموضعاً في حضن امه الكلية القداسة

رابعاً : يوسف الرامي وآخر يحملان جسد يسوع ووراءهما العذراء والقديسة فيرونيكا وهم سائرين به الى القبر

وجميع هذه الصُوَر من الرخام المرمر ممثلة أبدع تمثيل وملونة بالالوان الطبيعية حتى يكاد يخالها الرائي لاول وهلة مناظر طبيعية وهذا منتهى الابداع والاتقان

وقد برحنا البستان ونحن مأخوذين بالدهشة والاعجاب والهيبة والوقار مما شهدنا ورأينا وقصدنا الكنيسة الروسية المعروفه بكنيسة مريم المجدلية ويكاد لمعان قبابها الذهبية يخطف الابصار وهي تتلألأ عن بُعدٍ فيلوح ضياؤها الى مسافة بعيدة عن المدينة (انظر الشكل ٥) وفي مدخل الكنيسة اربع بلاطات قد نُقش عليها باللغات الروسية واليونانية والالمانية والعربية العبارة الآتية :

« تذكار من ملكة عموم الاقطار الروسية ماري ألكسندره »

وفي صدر الكنيسة تمثال هذه الملكة العظيمة مجسماً بحجمها الطبيعي وقباب الكنيسة وجرسها من الذهب الابريز ويُصعد اليها بسلم يتألف من ٢٩ درجة. وفي الكنيسة ثلاثة

هيا كل وهي غنية جداً بكثرة الرسوم والصور وقد استوقف نظرنا منها نوع خاص صورتان احداهما في أعلى حجاب الهيكل الاوسط طولها نحو عشرة امتار وعرضها ثمانية تمثل محاكمة مريم المجدلية امام بيلاطس البنطي وهيرودس القيصر الروماني . والصورة الثانية تمثل يسوع موسداً في القبر وطولها نحو متر وهي موضوعة داخل نعش من الزجاج . وفي الجهة القبلية الغربية من البستان بئر ماء عذب ينحدر اليه بثماني وثلاثون درجة يعرف عندهم بأسم « عين صالوحه »

برحنا بستان الزيتون عائدين الى اورشليم فاعترضنا في الطريق كثير من البرص يسألوننا الاحسان وهم منتشرون هناك بكثرة . وقد مررنا في طريقنا على كنيسة للروم الكاثوليك باسم « حنه ومريم » وهي في حديقة غناء حوت من كل فاكهة زوجان وفي وسط الحديقة تمثال شخص ذو هيبة ووقار يدعى لافيجري « *Lavigérie* » وقد نقش اسمه على التمثال باللغة الفرنساوية (١)

---

(١) مرسل فرنسوي جاء سوريا عقب حركة سنة ١٨٦٠ — ١٨٦١ لمساعدة المنكوبين ومواساة ارامل وايتام الذين قُتلوا في تلك المذبحة الهائلة ولذلك قصة طويلة لا محل لها هنا

وفى صدر الكنيسة مذبح قائم على اربع اعمدة من الرخام يصعد اليه باربع درجات. وعلى المذبح كرسي القربان وخلفه تمثال القديسة حنه والدة والدة الاله وتمثال العذراء عليها السلام وكلا التمثالين من الرخام الناصع البياض وهناك ايضاً عدة تماثيل غير هذين. وفي طرف الكنيسة مغارة ينحدر اليها بنحو ٣٠ درجة فيها صورة العذراء وصورة القديسة حنه وصور اخرى كثيرة تمثّلُ صفوة القديسين وهى مظلمة جدًا. وبحري الكنيسة بحيرة ينزل اليها بنحو ٥٢ درجة تسمى « بركة بيت حسدا » استعملها يسوع فى شفاء المرضى الذين كانوا يحملون اليه من اقاصي الارض. وشمالي البحيرة مكتب الشرطة وهو نفس المحل الذي حُوكم فيه يسوع وامام المكتب كنيسة داخلها السجن الذي سُجن فيه يسوع قبيل صلبه وقد وجدناه اسوء الحظ مقفلاً والموكل بمفتاحه غائباً فما استطعنا تفقده. ثم زرنا كنيسة اخرى تنسب الى القديسة فيرونيكا وفى صحنها تمثال بديع يمثل يسوع حاملاً صليبه على منكبيه وامامه جندي روماني وخلفه جندي آخر والقديسة فيرونيكا وفي يدها المنديل الذي مسحت به جبين يسوع وقد انطبعت صورته على المنديل

وجميع هذا من الرخام المرمر مجسماً اتم تجسيم وملوّناً بالالوان الطبيعية حتى يخالها الداخل لاول وهلة انها اشخاص حقيقية وليست تماثيل مجسمة . ولما انتهينا من تفقد كل ذلك قفلنا راجعين الى دير السلطان والساعة اذ ذاك نحو الثالثة من المساء

اليوم الثامن عشر

(الخميس فى ١٧ ابريل)

بلغنا اليوم ان حضرات الاجلاّء مطارنة الاسكندرية واسنا ومطران الحبشة قادمين فى المساء لزيارة القدس الشريف فتربصنا فى الدير استعداداً لاستقبالهم وعند الساعة الخامسة من المساء سرنا فى جمّ غفير من الكهنة والحجاج الى باب الخليج الكائن غربي كنيسة القيامة لاستقبال القادمين وما استقرّ بنا المقام حتى اقبلوا في موكب حافل يتقدمه ستة من فرسان البوليس وفى العربة الاولى سيادة مطران الحبشة وسيادة مطران القدس والمندوب الموفد من قبل الحكومة السنية لاستقبال الزوّار الكرام. وجلس اليسقجي قرب السائق وفى المركبة الثانية سيادة مطران الاسكندرية ومطران اسنا

ثم مركبة ثالثة تقل حاشية سيادة مطران الحبشة وورآء ذلك عشرات من المركبات تقل قناصل الدول واساقفة الملل وكرام الزوار فسار هذا الموكب على ابهى نظام يتقدمه عشرة من يسقجية الدول بابهى الحلل ومئات من كهنة الطوائف المختلفة بالملابس الكهنوتية وبايديهم الصلبان والشموع والمباخر قاصدين كنيسة القيامة فطافوا فيها قليلاً ثم اتجهوا الى كنيسة ماري انطونيوس في دير السلطان حيث قدموا صلوة الشكر لله على وصولهم سالمين ثم قصدوا دار سيادة مطران القدس فى دير السلطان حيث حلوا ضيوفاً مبجلين وكان قد خيم الظلام فتفرق الناس الى منازلهم يتحدثون بهجة الحفلة ولطف الزوار الكرام ودعتهم وتواضعهم

اليوم التاسع عشر

(الجمعة فى ١٨ ابريل)

وافق هذا اليوم آخر جمعة من الصوم الخمسيني عند الطوائف الشرقية وقد تعودت الكنيسة القبطية في اورشليم على ان تجري فيه حفلة تُعرَف عندهم بحفلة التزام حمل الصليب

والقصد منها استدرار الاموال من اكفّ الاسخياء لمساعدة الكنيسة بالنظر لفقرها في جنب الكنائس الاخرى . فسرنا في الصباح الى كنيسة ماري انطونيوس لحضور هذه الحفلة فالفينا الكنيسة غاصة بالمصلين وبعد ان استوينا في مجالسنا شرعوا في المزايدة لالتزام حمل الصليب مدة الدورة الكنائسية وكلٌّ من الاغنياء يزيد على صاحبه الى ان رسي مزاده اخيراً بمبلغ ٣٠ جنيهاً على شخص يدعى الحاج فرج يوسف من اهالي الرملة في مديرية القليوبية بالقطر المصري فألبسوه ملابس خاصة شبيهة بملابس الشمامسة ثم داروا في الكنيسة عدة دورات وهو حامل الصليب الكريم يحفُّ به الكهنة والغلمان حاملين المباخر والشموع الموقدة وختمت الحفلة بالصلاة فقفلنا راجعين الى الدير مثوانا

اليوم العشرون

﴿ السبت ١٩ ابريل ﴾

وافق هذا اليوم سبت العازر فسرنا الى الكنيسة لاستماع القداس ثم عدنا الى الدير ونحن عازمون على البقاء فيه ولكن

ما أزفت الساعة الثالثة بعد الظهر الأ ودوت أصوات أجراس كنيسة القيامة الكبرى فسرنا لنرى ما الخبر فرأينا فرقة من الجنود تبلغ نحو الاربعمائة جندي جاءت فاصطفت بقيادة ضباطها فى باحة الكنيسة للمحافظة على الأمن ثم أقبل موكب فخيم من اساقفة ومطارنة وكهنة الروم الارثوذكس فى وسطهم وكيل البطركخانة بالنظار لتغيُّب غبطة البطريرك الاورشليمي في الاستانة وجميعهم بالملابس الكهنوتية ويربو عددهم عن ١٢٠ كاهناً فولجوا الكنيسة داخلين ثم اقبل بعدهم موكب الارمن في مقدمتهِ سيادة مطرانهم ثم تلاه موكب الاقباط الارثوذكس وفي صدره اصحاب السيادة الاجلاّء مطارنة الحبشة واورشليم والاسكندرية واسنا فاتجهت كل طائفة الى بيعتها الخاصة في كنيسة القيامة الكبرى وكانت كلما انتهت طائفة من الصلاة تدور حول القبر المقدَّس دورة واحدة وتنصرف كما اتت بالاحتفال المهيب. ويعجز القلم عن وصف جمال هذه الحفلة وجلالها ونفاسة أردية المطارنة والاساقفة اخصهم مطارنة الروم الارثوذكس التي كانت تتألق ضياءً وبهاءً ويكاد لمعان جواهرهم وصلبانهم الذهبية يخطف الابصار. وانتهت الحفلة

عند الغروب فسارت الجنود الى ثكنتها وعدنا نحن الى الدير

اليوم الحادي والعشرون

(الاحد في ٢٠ ابريل)

وهو احد الشعانين . هرعنا الساعة السادسة من الصباح الى كنيسة القيامة لحضور القداس فوجدنا الزحام شديداً ولم يتيسر لنا الوصول الى الكنيسة القبطية الا بشق النفس . وبعد ان تكامل حضور مطارنة وكهنة الطوائف بملابسهم على مثال الامس بدأت الذبيحة الالهية وعقب انتهاء القداس جاءت شرذمة من الجنود تبلغ نحو الثمانمائة جندي فاصطفت حول القبر المقدس صفين متراصين وفسحت في وسطها طريقاً لمرور المواكب فبدأت الطائفة الارثوذكسية بالطواف فطافت حول القبر المقدس ثلاث مرات بالتسابيح والترانيم ثم خرجت من الكنيسة وخرج معها معظم الشعب اذ ان جل الزوار من الروسيين وكان كل منهم يحمل بيده سعفة من النخل وقامت بعدها طائفة الارمن فطافت حول القبر ثلاث مرات وخرجت ثم تلتها فى ذلك الطائفة القبطية ثم الطائفة السريانية

وقد حدث فى أثناء ذلك مشاجرة بين الروم والسريان اوشكت ان تؤدي لامور ذات بال لولا مداخلة رجال البوليس واجتهادهم بتهدئة الخواطر . ذلك ان لطائفة الروم شماس يقيم داخل القبر عند الطواف فلما جاء الارمن للطوف ارادوا اخراج الشماس الارثوذكسي ووضع احد شمامستهم الى ان ينتهي طوافهم فلم يسلم لهم الارثوذكس بذلك بل تمسكوا بهذا الحق القديم الممنوح لهم وانتهت الحادثة بعناية رجال الحفظ بابقاء القديم على قدمه وانقضت الحفلة نحو الظهر فعدنا الى الدير وقضينا فيه بقية يومنا

اليوم الثاني والعشرون

﴿ الاثنين فى ٢١ ابريل ﴾

عزمنا اليوم على الذهاب الى بحر الشريعة فقمنا الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وسرنا الى جهة تعرف بباب العمود موقعها بحري البلدة وعند الساعة الخامسة ركبنا منها المركبات قاصدين بحر الشريعة وقد مررنا على محطة تدعى محطة الحوض فلبثنا فيها نحو ربع ساعة ثم واصلنا السير فبلغنا محطة اخرى

تدعى محطة الخان الاحمر مكثنا فيها ساعة ريثما استراحت الخيل وسرنا الى بحر الشريعة فوصلنا قبيل الظهر بساعة فأقمنا هناك الى الساعة الواحدة والنصف ثم سرنا الى قرية اريحا فبقيناهناك الى منتصف الساعة الثالثة ثم عدنا الى الخان الاحمر فمكثنا الى الغروب وقفلنا راجعين الى دير السلطان فبلغناه عند منتصف الساعة العاشرة ليلاً وقد استغرقت رحلتنا هذه نحو سبع عشرة ساعة ونصف ولقينا اشد التعب لوعورة الطريق وسلوك المركبة بنا الجبال والوهاد حتى اننا لما اشرفنا على أول محطة في اثناء الذهاب رأيناها منا على قاب قوسين او ادنى وحسبنا اننا سنصل اليها فى بضعة دقائق ولكننا لم نبلغها الا بعد ساعة او اكثر فقد كنا نحن على قمة الجبل وهي فى منحدر عميق فكنا ندور حولها دوران حجر الرحى حتى تسنى لنا الوصول اليها

وبحر الشريعة بحيرة صغيرة على ضفتيها الاشجار الوارفة الظلال المتهدلة الاثمار بما يبهج النظر وينزه الخاطر . اما اريحا فهي قرية جميلة المنظر طيبة الهواء ذات حدائق غنّاء ورياض فيحاء وفيها فنادق جميلة لحلول الزوار وبها كنيسة تنسب الى

القديس الياس مليحة الترتيب تلتف حواليها اغصان الكرمة وتعرش على جدرانها دوالي العنب وفي باحتها بئر ماء عذب يستقي منه اهل اريحا . والمحطات التي مررنا عليها عبارة عن مواقف لاستراحة الخيل وفيها سائر ما يلزم المسافرين من المأكولات والمشروبات والدخان وما شاكل . ويقود العربة عادةً ثلاثة خيول واجرتها ذهاباً وإياباً عشرة ريالات مجيدية. وبالجملة فان نزهتنا كانت شائقة جداً لولا ما لقيناه من المشقة والتعب

اليوم الثالث والعشرون

(الثلاثاء فى ٢٢ ابريل)

لزمنا اليوم الدير بالنسبة لتعب الامس وقد توفي فيه احد الزوار وهو نجل حضرة صليب افندي حبشي من اهالي ابيار فى مديرية الغربية فاحتفل بدفنه احتفالاً شائقاً مشي فى مقدمته يسقجي البطرخانة ثم بعض الغلمان يحملون الصلبان والشموع يتلوهم الكهنة والشمامسة بالملابس الكهنوتية ثم نعش الفقيد يتبعه جمٌّ غفير من الحجاج وقد دُفن فى جبل

صهيون ثم عدنا الى الدير . وفى منتصف الساعة السابعة من المساء خسف القمر خسوفاً كلياً ولكننا لم نستطع انتظار انجلاؤه بل غلبت علينا سنة الكرى فاستغرقنا فى الرقاد وتركنا سخفاء العقول يصارعون الحوت الملتهم ويدفعونه بقرع النحاس ودق الطبول عن التهام القمر !!!

اليوم الرابع والعشرون

(الاربعاء فى ٢٣ ابريل)

وهو اربعاء ايوب. حضرنا فى الصباح القداس ثم تربصنا فى الدير الى الساعة الثالثة من المساء فسرنا الى كنيسة ماري انطونيوس لحضور الاحتفال ببيع النور المنبثق من القبر المقدس والغرض من هذا الاحتفال مثل الغرض من حفلة التزام حمل الصليب اي جمع الدراهم من اكف الاسخياء لمساعدة الكنيسة. وعند اكتمال الحشد دارت المزائدة على من يتلقى النور عند خروجه من القبر المقدس فرسي المزاد اخيراً بمبلغ ٤٥ جنيهاً افرنكياً على شخص يدعى الحاج فام تادرس من ناحية ميت

بشار في القطر المصري وتمت الحفلة عند الغروب فتفرقنا راجعين الى مساكننا

اليوم الخامس والعشرون

(الخميس فى ٢٤ ابريل)

وهو خميس العهد او خميس الغسل كما يعرفه البعض . استيقظنا نحو الساعة السادسة من الصباح وتوجهنا الى كنيسة القيامة الكبرى لمشاهدة الاحتفال الذي يقيمه الروم ذكرا لغسل السيد المسيح ارجل تلاميذه الاثنى عشر فوجدنا ان قد اجتمع فى باحة الكنيسة زهاء العشرة آلاف نفس معظمهم من الزوار الروسيين وقد احاطت شرذمة من الجنود بدكة مرتفعة أُعدت لجلوس الاساقفة . وعند الساعة التاسعة من الصباح قدم سيادة النائب البطريركي يصحبه الاساقفة والكهنة وحملة الصلبان والمباخر ودوت اصوات اجراس الكنائس تقرع بشدة تصم الآذان . فصعد النائب البطريركي الى الدكة وتبعه اثنى عشر مطرانا وكاهنين مساعدين بايديهم الشموع الموقدة وبعد الصلاة انتصب سيادة النائب البطريركي

فخلع ملابسه واتزر بمنشفة واخذ يغسل ارجل المطارنة وينشفها بالمنشفة وقد غسل ارجل احد عشر منهم ولما همّ بغسل رجلي الثاني عشر امتنع هذا اشارة الى امتناع بطرس الرسول عندما همّ يسوع بغسل رجليه ولكنه انصاع اخيراً لاشارة سيده فغسل رجليه كما غسل ارجل رفاقه ليغرس فى ابن الانسان ملكة الدعة والتواضع كما ورد فى الانجيل الطاهر ولله هذه الذكرى ما ابهجها واوقعها فى النفوس. ولقد تكبدت فى رحلتي هذه المصاريف الطائلة ولكنني لست آسف عليها ولا على اضعافها فى جنب ما استفدته من العبر والآيات البيّنات التي تخشع القلوب وتسمو بنفس الانسان الى المراتب السموية. ولقد كنت احسب ان طائفة الروم الارثوذكس تفردت فى هذه الطقوس الدينية ولكنني علمت بعد ذلك انهم والروم الكاثوليك سواء فى اقامة هذه الطقوس والشعائر الدينية المقدسة

وبعد انتهاء الاحتفال سرنا لبعض الشؤون ثم عدنا الى الدير فعلمنا ان قد حضر فى اثناء غيابنا سعادة المتصرف وقناصل الدول الى الدير زائرين وقبيل الانصراف خطب سعادة

المتصرف مرحباً بالزوار ومهنئاً اياهم بهذه المواسم السعيدة وحاضاً على الالفة والاتحاد بين الطوائف المختلفة وختم خطبته بالدعاء لجلالة السلطان الاعظم فاسمنا كثيراً لغيابنا عن الدير اذ ذاك

اليوم السادس والعشرون

(الجمعة في ٢٥ ابريل)

وافق هذا اليوم الجمعة العظيمة عند الطوائف الشرقية . فسرنا الى الكنيسة لحضور الصلاة التي استقامت الى الساعة الثالثة بعد الظهر ثم عدنا الى الدير وعند الساعة السادسة من المساء سرنا الى كنيسة القيامة بقصد المبيت فيها خشية من ان يمتنع علينا في الغد الدخول لشدة ما يتوقع من الزحام وقد استأجرنا مقاعد في مقدمة الكنيسة كي نتمكن من مشاهدة الاحتفال جيداً ولما ان استقرّ بنا المقام قامت الطائفة القبطية فدارت في الكنيسة بالصلبان والشموع والمباخر وقد ارتدت ملابس احد الشمامسة وكنت في مصاف حملة الصلبان فدرنا في الكنيسة مراراً ومررنا امام كنيسة الروم الكاثوليك

وتلى الكهنة ثمانية اناجيل باللغتين العربية والقبطية بالاحتفال المألوف. وعند الساعة العاشرة ليلاً جاء دور طائفة الروم الارثوذكس وقرأت الاناجيل مثل الطائفة القبطية ثم انتصب احد كهنة الروم فخطب في الجمع خطبة غراء بلغة عربية فصحى استرعت الاسماع واختلبت القلوب برقتها وسمو معانيها وقد جعل موضوعها ماهية ابن الانسان والغاية من خلقه ووقوعه فى الخطيئة الاصلية ومجيء المسيح الى الارض وافتدائه الجنس البشري بدمه الذكي الطاهر . كل هذا بعبارات مؤثرة استذرت الشؤون من العيون وانتهت خطبته عند منتصف الليل ونحو الساعة الواحدة والنصف جاء دور طائفة الارمن فدارت فى الكنيسة مثل الطوائف التي تقدمتها ثم تبعها فى ذلك طائفة السريان ولكن غلبت علينا سنة الكرى فرقدنا في مقاعدنا ولم نتمكن من انتظار انتهاء الاحتفال

اليوم السابع والعشرون

﴿ السبت فى ٢٦ ابريل ﴾

وافق هذا اليوم سبت النور وهو يوم الفرح والسرور

والغبطة والحبور فيه تنشرح صدور المؤمنين وتبتهج نفوسهم

اصبحنا وكنيسة القيامة غاصة بالخلق وقد بات معظمهم ونحن فى الجملة فى الكنيسة والباب موصد علينا .وعندالساعة الثامنة والنصف من الصباح فتح باب الكنيسة مصراعيه لدخول المصلين فدخلت شرذمة من الجنود تبلغ نحو الثمانمائة جندي فاصطفت مع ظباطها حول القبر المقدّس صفين متراصّين لحفظ الأمن وفسحت فى وسطها مكاناً لمرور المواكب وجاء سعادة المتصرف بنفسه لملاحظة النظام واندفع الشعب داخلاً حتى غصّت به الكنيسة على رحبها ويُقدّر عدد الداخلين بنحو ٢٠ الفاً ما خلا الكهنة والشمامسة والجنود . وعند الظهيرة بدأت طائفة الروم الارثوذكس بالدورة الكنائسية فدارت في انحاء الكنيسة ثلاث دورات وعند الدورة الاخيرة أقبل على الكنيسة سيادة النائب البطريركي يحفّ به بعض الكهنة الاجلاّء . ونحو الساعة الواحدة والنصف من المساء انبثق من النوافذ التي في اعلا القبر نورٌ نافذ فاخذ الشعب يتخاطفه مخاطفةً وقد أنرتُ منه شمعة كانت بيدي فكان لهيبها بردًا وسلاماً حتى لقد مرت اللهيب على وجهي فلم اشعر له بأقلّ

حرارة وهو ما يقضي بالعجب . وكان نور الشمعة فى بادئ الامر أحمر فلم يكن يؤثر ثم اخذ يتحوَّل شيئاً فشيئاً حتى اصبح ابيض مثل نور الشمع المعتاد فاضحى لاذعاً

ثم امرنا نيافة مطران القدس بالصعود للدورة حوالي القبر المقدس وكنت اذ ذاك في مصاف حملة الصلبان فدرنا حوله مراراً وقد اقتصرت هذه الدورة على طوائف الاقباط والارمن والسريان وانتهت دورتنا نحو الساعة الثالثة والنصف فخرجنا ونحن نتحدث بجمال الحفلة وبهجتها وقد لمت نفسي بعد ذلك كثيراً لخوفي من لهيب الشمعة في بادىء الامر وترددي في امراره على وجهي ونسبت ذلك لضعف ايماني فاستغفرت فى سري

وعند خروجنا من الكنيسة سرنا الى السوق فابتعنا بعض لوازم العيد وعدنا الى الدير وعند الساعة الثامنة ليلاً توجهنا الى كنيسة القيامة لحضور قداس العيد الاحتفالي الذي يقام ليلاً . والساعة العاشرة ليلاً طافت طائفة الروم الارثوذكس في انحاء الكنيسة مرارًا بالصلبان والشموع والمباخر على المألوف وتلتها بعد ذلك طائفتنا القبطية وانتهى قداسنا وطوافنا نحو

الساعة الثالثة من الصباح وقد انهكنا فرط النعاس فبرحنا الكنيسة واتجهنا نحو الدير ولم نستطع حضور دورات الطوائف الاخرى

اليوم الثامن والعشرون

(الاحد فى ٢٧ ابريل)

وهو احد الفصح المجيد وتذكار قيامة مخلصنا وفادينا الحبيب. اصبحنا نرفل بثوب العيد ونحن نهنئ بعضنا بعضاً بهذا العيد السعيد وبانتهاء حجّنا على سلام. ولقد كان في نيتنا السفر فى هذا النهار راجعين الى الوطن المحبوب ولكننا عدنا عدلنا عن عزمنا هذا واجلنا سفرنا الى الغد رعاية للعيد وقضينا نهارنا فى النزهة وعند الظهر سار وكيل غبطة البطريرك الاورشليمي على طائفة الروم الارثوذكس الى كنيسة القيامة فى موكب حافل من المطارنة والكهنة وحملة الصلبان والشموع وتبعهم قنصل دولة اليونان وبعض كبار الطائفة فحضروا القداس الالهي ثم عادوا الى الدار البطريركية حيث وفد كبار القوم وفي مقدمتهم سعادة المتصرف مهنئين بالعيد السعيد

اليوم التاسع والعشرون

(الاثنين في ٢٨ ابريل)

ازمعنا اليوم على الرحيل عائدين الى الاوطان . فعند الساعة السادسة من الصباح حملنا اثقالنا وودّعنا اهل الدير واتجهنا الى المحطة فوجدنا الزحام شديدًا والناس هناك كالبنيان المرصوص فقام القطار الاول فى الساعة ٧ والدقيقة ٤٠ يقل الحجاج الروسيين وفى الساعة الثامنة والنصف قام قطار آخر يقل بقية الحجاج الروسيين بينهم ٢٥ نفساً فقط من الاقباط وقام ثالث قطار فى الساعة التاسعة والدقيقة ٥٠ وقد خُصِّصَ منه مركبتين لقناصل اليونان وكبار موسيهم وصالون خاص لسعادة المتصرف ومركبتين لمن بقي من الركاب ولم يتسنى لنا الدخول فى احداهما الاّ بشق النفس لشدة الزحام . وقد اصطفَّ فى باحة المحطة نحو المائتي جندي تتقدمهم الموسيقى العسكرية لتأدية السلام لسعادة المتصرف فسار بنا القطار على انغام الموسيقى الشجية وعند الساعة العاشرة والربع بلغنا محطة بيتر وعند الساعة العاشرة والثلث اقبلنا على محطة ديرابان وبعد ربع ساعة اشرفنا على محطة سجد والساعة ١١ والدقيقة ٣٥ مررنا

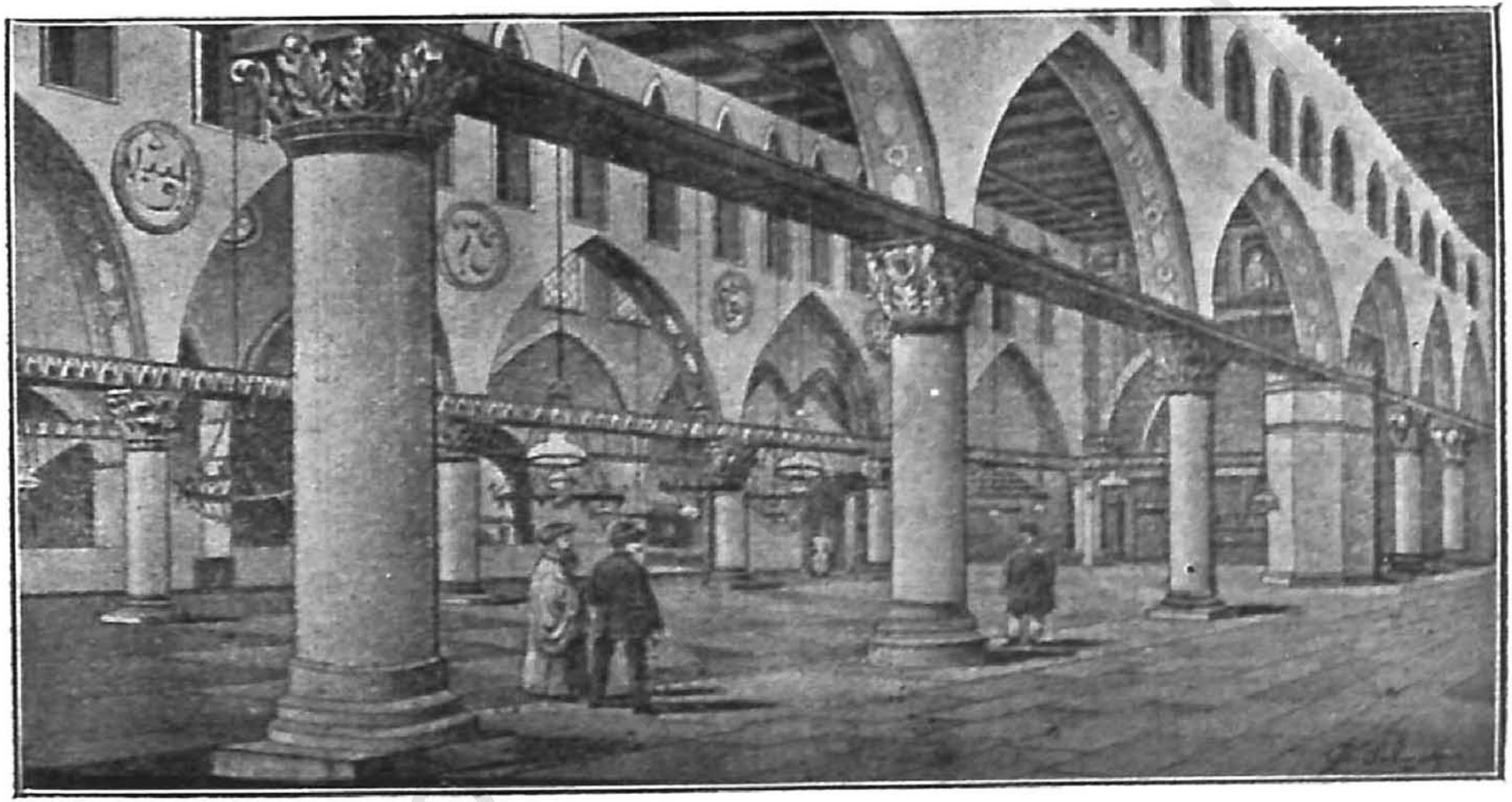

(شكل ١)

جامع الخليل او المسجد الاقصى

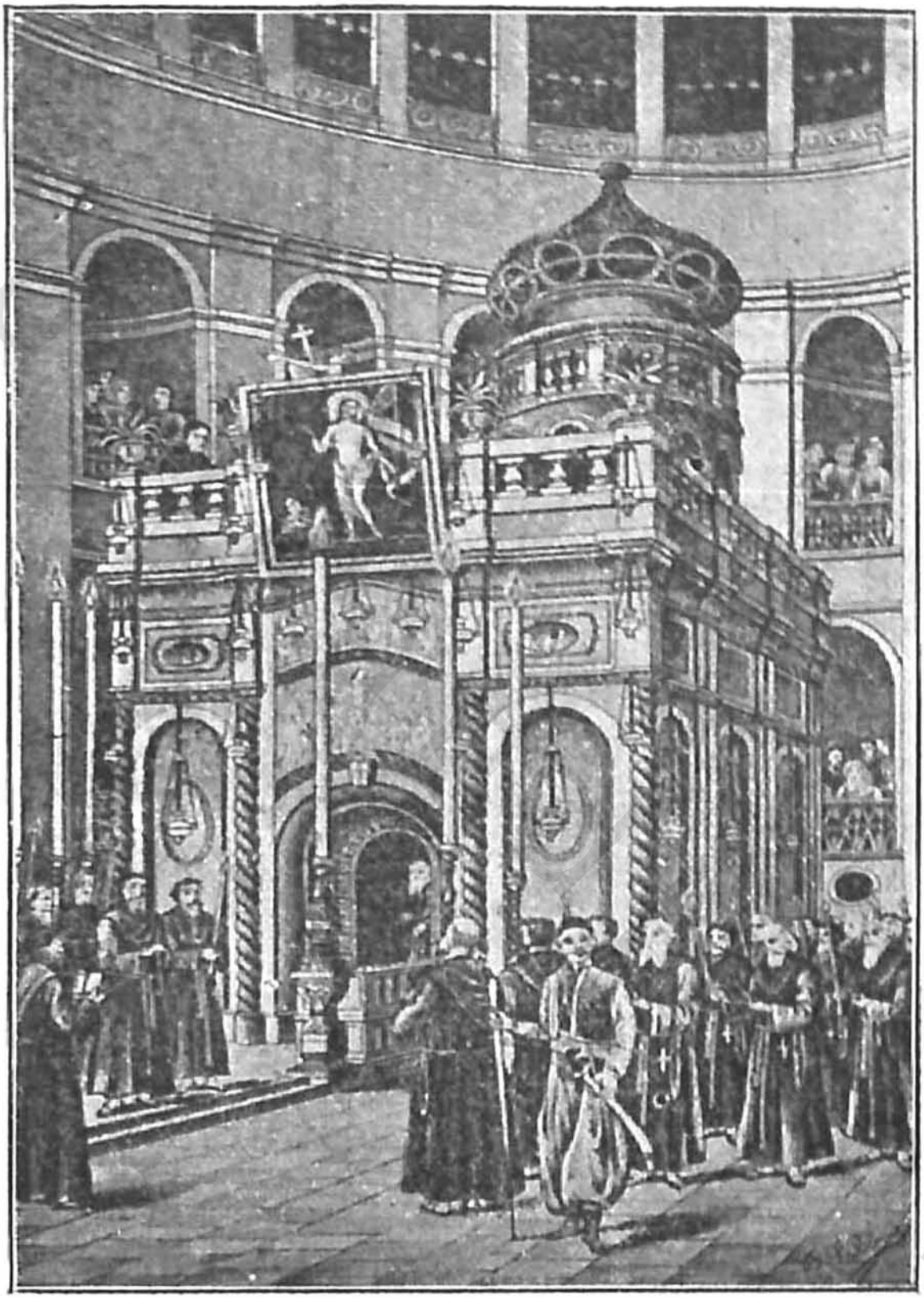

(شكل ٢)

القبر المقدّس

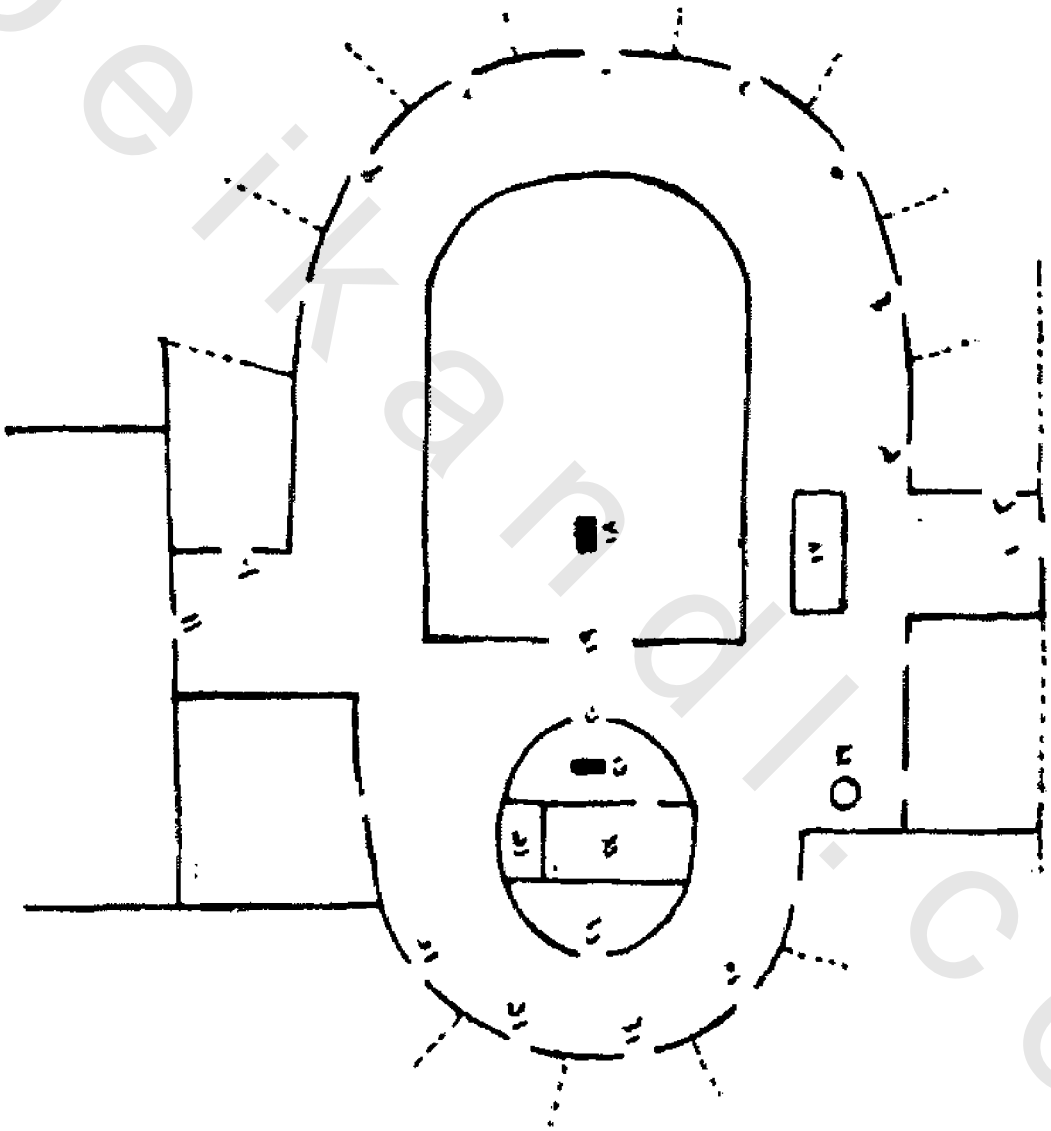

(شكل ٣)

خريطة كنيسة القيامة بالقدس الشريف

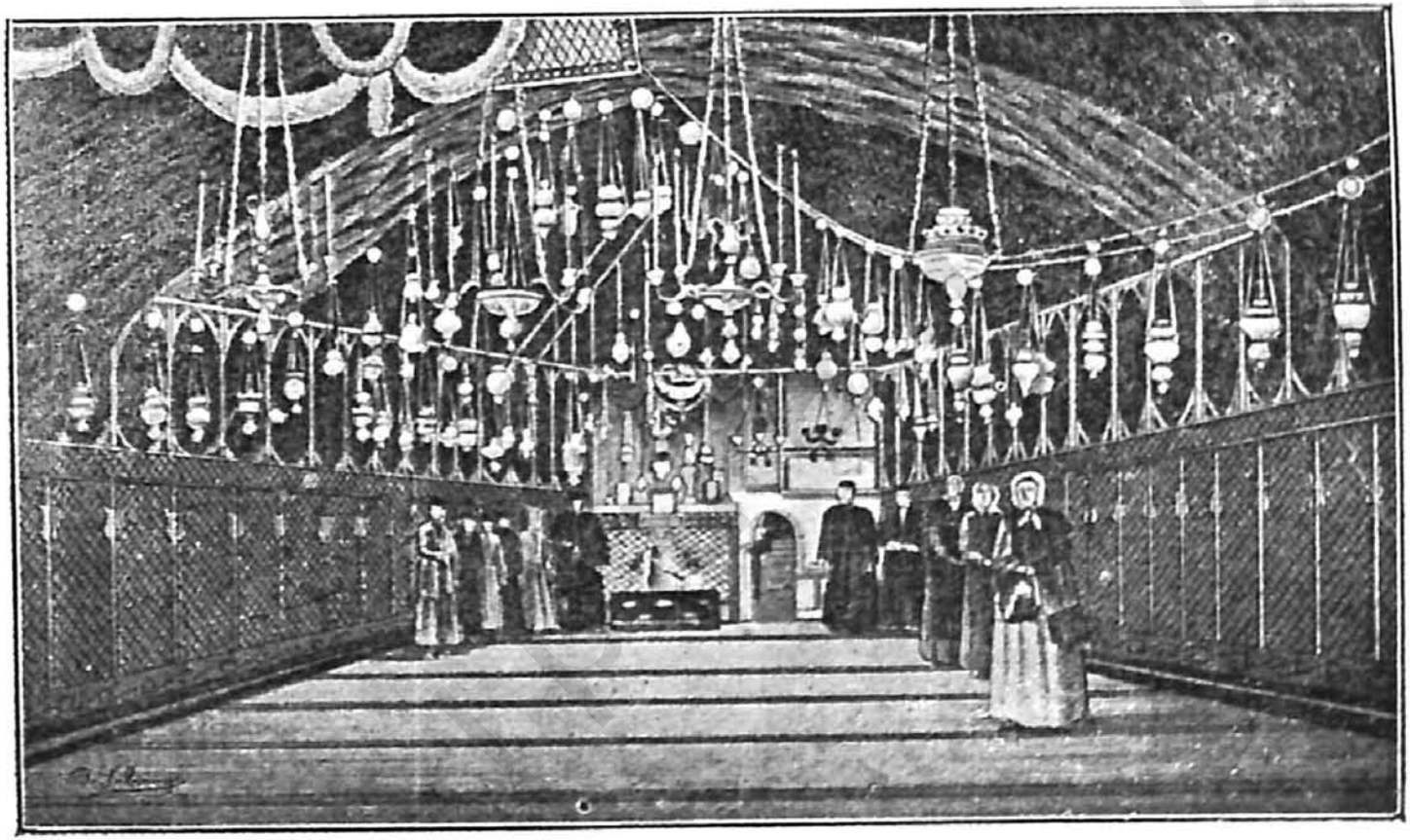

(شكل ٤)

ساحة كنيسة الجثمانية

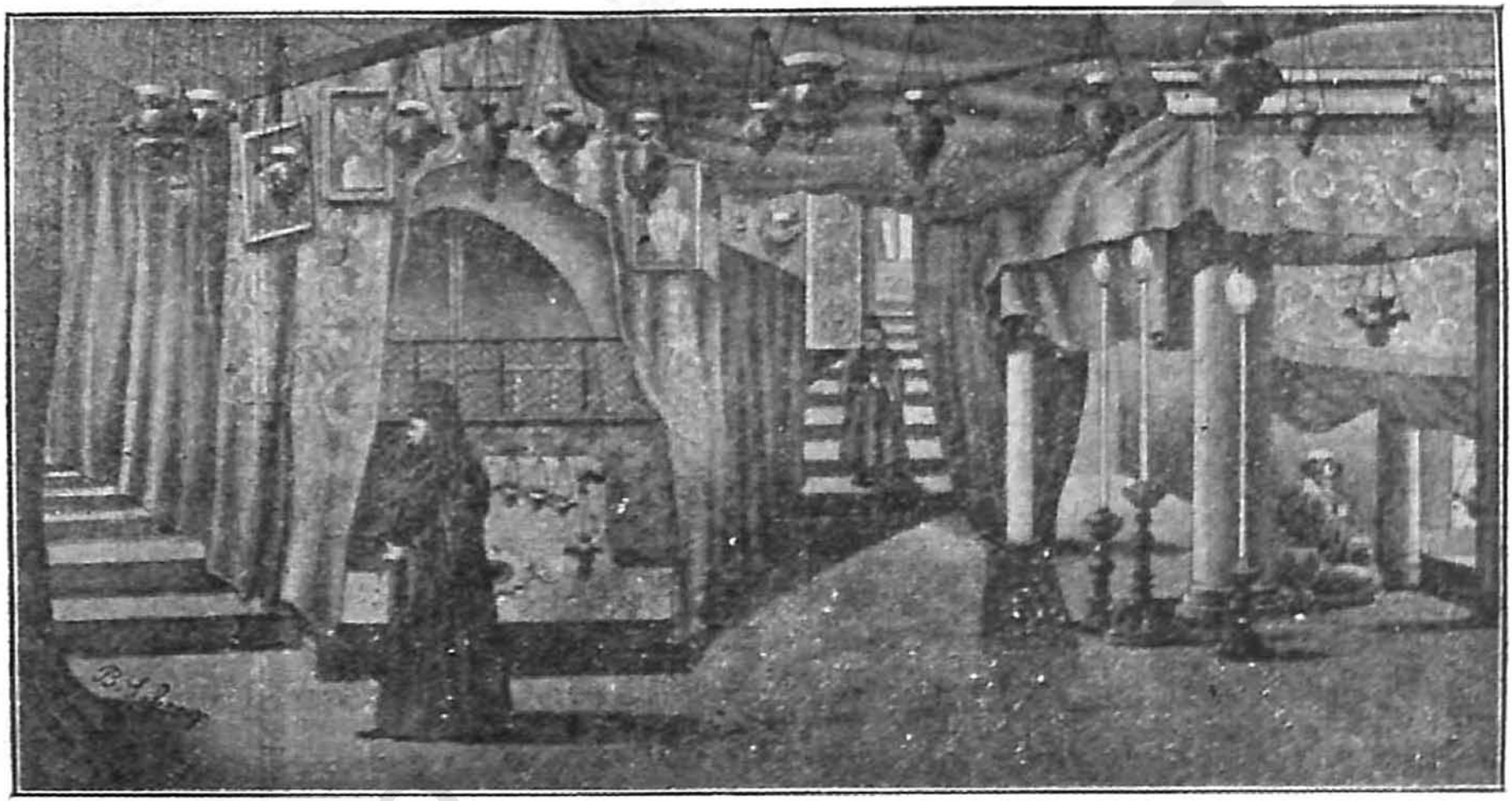

(شكل ٥)

المكان الذي وُلد فيه السيد المسيح والمزود

(شكل ٦)

الكنيسة الروسية المعروفة بكنيسة مريم المجدلية

على محطة الرملة وبعد ربع ساعة بلغنا محطة لِدْ وعند الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ القينا رحالنا في محطة يافا فوجدنا صاحبنا عيذار النوتي موفداً من قبل البطركخانة لانتظارنا فدفعنا اليه بوليسة الشحن لاستلام صناديقنا من المحطة وسرنا الى كنيسة البيارة فاسترحنا هنيهة وقضينا بقية نهارنا في النزهة والتفرج على اسواق المدينة وحوانيتها

اليوم الثلاثون

(الثلاثاء فى ٢٩ ابريل)

قضينا هذا النهار في مدينة يافا على مثل ما قضينا النهار الفائت فى النزهة والتفرج ونحن نجول في حدائق المدينة ورياضها ونتعش فؤادنا باستنشاق روائحها الذكية ونسيمها العليل وقد ابتعنا في اثناء النهار تذاكر السفر من شركة البواخر الخديوية استعداداً للسفر في اليوم التالي

اليوم الحادي والثلاثون

(الاربعاء فى ٣٠ ابريل)

بكرنا اليوم على نية السفر وقضينا الى الظهر متجولين متنزهين نتودع من يافا ومناظرها الجميلة وحدائقها الغناء ورياضها الفيحاء وعند الظهر سرنا الى الباخرة « برنس عباس » التابعة لشركة البواخر الخديوية فأخذنا فيها اماكننا وعند الساعة السادسة من المساء مخرت بنا الباخرة باسم الله مجراها قاصدة بورسعيد وكان البحر ساكناً والهواء عليلاً وقد تسنمت الشمس غارب الافول واصفر لون محياها من لوعة الفراق واخذت دياجير الظلام ان تنشر سرادقها على الكون وبدت دور يافا تتلألأ عن بعد وتلوح الانوار من نوافذها فتخالها عيون حسناء تترقرق فيها ماء الحياة وهي ترنو الى الفها وقد امنت عين الرقيب وتبدو عن سطح السفينة شبه الدراري او النجوم النيرة . فشاقنا هذا المنظر كثيراً وطاب لنا السفر وظللنا نتطلع الى يافا من عن ظهر الباخرة حتى توارت عن ابصارنا واتعب طرفنا فرط التحديق فى الماء والقبة الزرقاء فملنا الى مخادعنا طلباً للرقاد

اليوم الثاني والثلاثون

(الخميس فى أول مايو)

استيقظنا من الرقاد الساعة الرابعة صباحاً فارتدينا ملابسنا وصعدنا الى ظهر السفينة نتطلع الى بور سعيد وقد لاحت لنا عن بعدٍ سحيق وفي الساعة الخامسة والدقيقة ٥٠ رست بنا الباخرة في ميناها فنزلنا اليها نتفقدها ولم نكن قد عرفناها بعد فألفيناها شبه جزيرة يحيطها البحر من ثلاث جهات وتمتد فى الجهة الرابعة منها السكة الحديد المؤدية الى القاهرة وشوارع البلدة فسيحة منتظمة ودورها نخيمة وهي بالاجمال تضارع مدينة الاسكندرية وتحكيها في البهاء والرواء . وبعد ان جلنا فيها ملياً عدنا الى السفينة فاقلعت بنا بعد الظهر بنصف ساعة قاصدة الاسكندرية وقد مررنا فى طريقنا على تمثال المرحوم المسيو شارل دولسبس فاتح القنال وهو قائماً فى وسط البحر يتطلع الى هذه المدينة الزاهرة التي كان السبب فى عمارها وتشييدها والقنال الذي قام بفتحه ووصل به بين البحرين .

وكان الطقس رهواً والبحر ساكناً طول مدة السفر

اليوم الثالث والثلاثون

(الجمعة فى ٢ مايو)

اشرفنا الساعة السادسة من الصباح على مدينة الاسكندرية عروس القطر المصري ونحو الساعة السابعة صباحاً رست بنا الباخرة فى ميناها ووطئت اقدامنا ارض وطننا المحبوب بعد ان امتد غيابنا ثلاثة وثلاثين يوماً فقضينا في الاسكندرية ساعات قلائل وبرحناها فى قطار الساعة الثانية والنصف الى دمنهور موطننا فبلغنا محطتها الساعة الرابعة من المساء فوجدنا جمهور الاهل والاصدقاء بانتظارنا على المحطة وشاهدنا الجميع بخير فحمدنا الله على السلامة وطاب لنا الهناء وتمّ السرور . وهكذا انقضت رحلتنا وانتهى حجّنا على سلام ونحن نرجو ان يكتب لنا الله من ورائه الاجر والثواب ويوفق القارئ الكريم الى زيارة الاراضي المقدسة والتبرك بآثارها

اجماليات

(او)

ايضاحات

عملة القدس

القرش فى القدس قرشاً لا صاغاً ولا تعريفه كما هو فى مصر

ويساوي الجنيه الانكليزي فى عملة تلك البلاد ٣٠ ـــ ١٣٦ ص والليرة العثمانية ١٠ ـــ ١٢٣ ص والليرة الفرنساوية تساوي ١٠٩ غروش والريال المصري ٢٦ غرشاً والريال المجيدي ٢٣ غرش وهناك عملة كبيرة من الفضة الخفيف المشوب بالنيكل اسمها « وزري » يساوي الواحد منها ٦ غروش ونصفه يدعى « بشلك » ويساوي ٣ غروش او تسعة متيلكات وكبك ونصف. والكبك هو القرش الخردة العثماني . والمتليك عبارة عن قطعة صفيح رقيقة عليها الطغرآء ويندر ان تجدها غير مثقوبة وانما ثقبها لا يعيبها ولا يخفض من قيمتها ولا يمنع تداولها وهي تسمى عندهم ايضاً « عشراويه » . هذا في معاملة

الاهالي بعضهم بعضاً اما مصلحة السكة الحديد فلها تعريفة خاصة فان الجنيه الافرنكي يساوي فى تعريفتها ١١٨ غرشاً والليرة الفرنساوية تساوي ٩٨ غرشاً . ولمصلحة البريد تعريفة اخرى تخالف هاتين التعريفتين فواعجباه من بلدة تختلف فيها قيمة عملتها باختلاف مصالحها. والاغرب من هذا ما علمته من اختلاف قيمة العملة بين بيروت والشام وهما بلدتان متصلتان فان لكل منهما تعريفة تخالف تعريفة الاخرى

واذا رغب زائر القدس ان يجول حيث شاء ويأمن الطوارىء والحوادث فعليه ان يتوجه الى مركز البوليس ويطلب منه عسكرياً يرافقه النهار بطوله ويدفع له فى آخره اجرته ربع ريال مجيدي وبذلك يأمن شرّ الرعاع

ويجب ان تكون معاملتك مع عامة الاهالي بمنتهى الرقة واللطف لان اقرب شيء اليهم سب الدين اما الخاصة فهم على أحسن ما يكون من العلم والتهذيب واللطف والدعة ودماثة الاخلاق

وهاك بعض ما علق في ذهننا من كلام عامة اهالي القدس اذكره لا منتقداً بل لفائدة زائر تلك البلاد

الكلام العامي المصري	كلام عامة القدس
راجل	زلمي
عدّيني	مرّقني
طيّب	إلا
سيبني	دشّرني
من هنا	من هون
عاوز إيه	شو بدّك
عربيه	كرّوسه
عيش	خبز
دقيق	طحين
قفطان	غنباز
دندرمه	بوزا
شيشه	اركيله
طرابيزة	طاولة
دولاب	خزانة

وغير ذلك الفاظ كثيرة لم اتوصل لحل رموزها ولا وجدت من يفهمني اياها

obeikandl.com

﴿ اعتذار ﴾

وعدنا فى الوصولات التي طبعناها ان نذكر اسماء حضرات المشتركين فى ذيل الكتاب ولقد رغب الينا بعضهم بعد ذلك ان لا نذكر اسمه . ثم لما امتد بنا التأخير فى تمثيله للطبع لتراكم الاشغال ووفرة الاعمال توقفنا عن توزيع الوصولات وبالتالي عدلنا عن ذكر اسماء المشتركين فى ذيل الكتاب ولكن ذلك لا يمنعنا من اسداء المشتركين القلائل الذين اقبلوا من تلقاء نفسهم على الاشتراك خالص الشكر والامتنان

ولقد اطلع على الكتاب حضرة صديقنا الفاضل النحرير ادوارد افندي جدّي صاحب مجلة الثريا الغرآء فتفضل علينا بهذه الابيات فاثرنا ان نجعلها مسك الختام مع الشكر لحضرته قال اعزه الله :

كتابٌ شفَّ عن قصدٍ شريفِ
لموسى صاحب الرأيِ الحصيفِ
فتىً رام العلى سعياً فاضحى
من العلياءِ في صرح منيفِ
وهذا سِفرهُ السامي كروض
بهِ الاغصان دانية القطوفِ
روى فيه الحقيقة عن بلادٍ
بقولٍ جاءَ في معنًى لطيفِ
فهذا خير « ارشادٍ لطيفٍ »
نراهُ « لزائر القدس الشريفِ »

فهرست الصُّوَر

الصورة		
١	رسم جامع الخليل	فى اليوم الثامن
٢	« القبر المقدس	« « التاسع
٣	خريطة كنيسة القيامة الكبرى	« «
٤	« كنيسة الجثمانيه	« العاشر
٥	« بيت لحم	« الحادي عشر
٦	« كنيسة مريم المجدلية	« السابع عشر

obeikandl.com

رسم مؤلّف هذا الكتاب

ولد في ٢٢ توت سنة ١٥٩١ الموافق اول اكتوبر سنة ١٨٧٤
و ١٩ شعبان سنة ١٢٩١